محمّد بودية السّنة أولى ماستر

أستاذ محاضر – ب – تخصّص: لسانيات تطبيقية

محاضرات في اللّسانيات وقضاياها

المحاضرة الثانية: التّحليل البنيوي الوظيفي عند حلقة براغ اللّسانية

ظهر مصطلح الوظيفية (le fonctionnalisme) في اللسانيات مع حلقة براغ[1] (Cercle linguistique de prague)، وهي جمعية تأسست سنة 1926 من قبل مجموعة من اللسانيين، كان في مقدّمتهم الأمير الروسي "تروبتسكوي نيكولا سيرجيفتش" (Troubestkoy.N.sergvitch)، وروومان جاكسون (R.Jakobson) وكرسيفسكي (karcevski). كما ضمّت فئة من اللسانيين التشكيين أمثال .ف. ماتسيوس (V.Mathesius) وب. ترنكا (B. Trinka). وب. هافرينكا، وموكاروفسكي الذي كان مُنظّرا في مجال الدرس الأدبي[2].

وقد تجلّت أفكار هذه الحلقة من خلال المؤتمر الدّولي للّسانيين، الذي انعقد بلاهاي سنة 1928[3].

وبالرغم من أنّ مؤسّسي حلقة براغ اتّخذوا الأفكار البنيوية التي جاء بها "فرديناد دوسوسير" منطلقا لدراساتهم، إلاّ أنّ أهم شيء ركّزوا عليه وجعلوه محور تحاليلهم هو الوظيفة الأساسية للغة ، ألا وهي وظيفة التبليغ والتواصل (la Communication) "فإذا كان دور اللغة هو توفير أسباب التواصل، فإن

---

(1) Jean Dubois et autres, dictionnaire de linguistique, libraire larouse, paris, p217.

(2) ميلكا إفيتش ، اتجاهات البحث اللساني ، ترجمة : سعد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل، الهيئة المصرية العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط2، 1996، ص247.

(3) عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، الجزائر، 1997، العدد07، ص08.

دراسة اللغة ينبغي أن تراعي ذلك، فكل ما يضطلع بدور في التواصل ينتمي إلى اللّغة، وكل ما ليس له هذا الدور فهو خارج عنها. وبعبارة أخرى فإنّ العناصر اللغوية هي التي تحمل شحنة إعلامية ، أمّا التي لا يمكن أن نعتبرها ذات شحنة إعلامية فلا يعتد بها اللغوي، فالأولى وحدها هي التي لها وظيفة"[4].

فاللّغة بمفهومها الوظيفي عند أصحاب حلقة براغ، تُمثل مجموعة من العناصر تنضوي تحت بُنى صوتية وصرفية، وتركيبية ودلالية. ولا يمكن دراسة هذه العناصر إلاّ في إطار ما تؤدّيه من وظائف مختلفة تُسهم في تحقيق عملية التواصل، ومن ثم فإن اللّساني لا ينظر إلى اللغة إلاّ "كما ينظر المرء إلى محرّك محاولا أن يفهم أجزاءه المختلفة، وكيف تُحدّد طبيعة جزء معين طبيعة الأجزاء المختلفة"[5].

وإذا كانت اللغة عند "فرديناد دوسوسير" نظاما، فإنّ هذا النّظام عند حلقة براغ " يتكوّن من وسائل تعبيرية تؤدّي وظيفتها في تشجيع الفهم المتبادل ولذلك ينبغي على اللّسانيين أن يدرسوا الوظيفة الفعلية لأحداث النّطق الملموسة ما لذي يجري توصيله؟ وكيف؟ والى من؟ وفي أي مناسبة؟"[6].

1- الوظيفية عند تروبتسكوي:

ولد "تروبتسكوي" سنة 1890 من عائلة عريقة تنتمي إلى أمراء روسيا حيث كان والده عميد جامعة موسكو. ومنذ أن بلغ السنة الخامسة من عمره عكف على الدراسات اللغوية، ممّا ساعده على تعلّم لغات متنوعة، وأهّله لأن يشغل منصبا تعليميا بجامعة موسكو سنة 1905. غير أنّه لم يستقر في هذا المنصب بل انتقل

---

[4] عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص40.

[5] جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، ص106.

[6] ميلكا إفيتش، إتجاهات البحث اللساني، ص248.

إلى فيينا سنة 1922 ليصبح مُدرِّسا في جامعتها "فقه اللغة السلافية" والأدب الروسي إلى أن توفي سنة 1938[7].

بدأت ملامح التوجه الوظيفي لتروبتسكوي تظهر انطلاقا من المؤتمر العالمي للألسنية الذي انعقد بلاهاي سنة 1928 حيث سمح له هذا المؤتمر أن يكون المؤسّس الحقيقي لعلم "الفونولوجيا" (La phonologie) كما مكّنه من طرح مجموعة من الأسس التي يتم الاعتماد عليها في التمييز بين الفونتيكا (La phonétique) بوصفها علما طبيعيا فيزيائيا "يختص بدراسة الجانب الفسيولوجي في الصوت الإنساني ويعتمد في بياناته على الأجهزة والآلات"[8].

وبين الفونولوجيا بوصفها علما يُعنى بدراسة الأصوات اللغوية أثناء الأداء الفعلي للكلام، أي الأصوات من حيث خصائصها الوظيفية في الخطاب المُنجز بمعزل عن طبيعتها الفيزيولوجية والفيزيائية.

ولذا فإنّ أهمّ عنصر في الفونولوجيا هو الفونيم (Le phonème) أو الوحدة الصوتية التي تؤدّي دورا تمييزيا وظيفيا.

وهكذا نجد أنّ الباحث الفونولوجي عند "تروبتسكوي" " لا يهتم بالخصائص النّطقية والفيزيائية والسّمعية للأصوات، باعتبارها هدفا في ذاتها، بل يهتم بها باعتبارها مجرد وسيلة لتحديد الصوت اللغوي في إطار اللغة الواحدة " [9].

وقد جمع **تروبتسكوي** أُسسه الوظيفية في كتاب أصدره سنة 1939 سمّاه "مبادئ الفونولوجيا" (Principes de phonologie) [10].

حيث يُعدّ هذا الكتاب المرجع الأوّل الذي يبّين معالم الدراسة الوظيفية للغة، وبخاصة المستوى الفونولوجي منها، إذ " أرسى تروبتسكوي في كتابه هذا "دعائم نظام دقيق لتصنيف الأصوات الوظيفية، وبعبارة أخرى فإنّه يقدّم لنا نظاما

---

[7] نقلا عن: ميشال زكرياء ، الألسنية (علم اللغة الحديث) ، المبادئ و الأعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص236.

[8] عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2002، ص08.

[9] محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص36.

[10] ميشال زكرياء، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص236.

يُمكّننا من معرفة النّظام الصوتي في لغة ما، بدلا من أن نعالج تركيب نظامها الصوتي بالأسلوب الأمريكي، والمتمثّل بعبارة (خذه أو دعه) على أساس أنّه مجموعة من الحقائق المنفصلة"[11].

– مفهوم الفونيم وخصائصه عند تروبتسكوي:

لاحظ **تروبتسكوي** أثناء دراسته الوظيفية (الفونولوجية) أنّ أيّ وحدة صوتية بإمكانها أن تدخل في تقابل مع وحدة أخرى، فتتميّز عن غيرها من الوحدات وذلك بتأديتها لدور وظيفي يتمثل في تغيير المعنى. من هنا نشأ مفهوم الفونيم عند تروبتسكوي حيث عرفه قائلا:"هو أصغر وحدة في اللسان المدروس"[12].

إذ لا يمكن أن تتجزأ هذه الوحدة إلى وحدات أصغر منها، والفونيم عنده بمثابة العلامة المميزة إذ "لا يمكن لهذه العلامة أن تظهر في النظام اللغوي، إلاّ حينما تؤدّي دورا وظيفيا، وبالتالي فالفونيم كما يقول تروبتسكوي "هو وحدة وظيفية قبل كل شيء"[13]. وهو يختلف عن الصوت المفرد الذي يدرس من الناحية الفيزيائية والفيزيولوجية.

فصوت القاف – مثلا– عندما ينطق لوحده ليس له أهمية في إطار الدّراسة الصوتية الوظيفية، بينما لو نظرنا إليه في جانبه التركيبي في كلمة "قال" وتمت مقابلته بصوت الصاد في كلمة "صال" لأمكننا القول إنّ كلا من الصاد والقاف وحدتان صوتيتان وظيفيتان.

وإذا كان الأساس الذي يعتمد عليه "تروبتسكوي" في تحديد ماهية الفونيم هو "الوظيفة" فإن مفهوم الفونيم عند "سوسير" يتعيّن انطلاقا من تصور آخر، إذ

---

[11] جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص111.

[12] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص101.

[13] عبد الرحمن الحاج صالح ، مدخل إلى علم اللسان الحديث ، مجلة اللسانيات ، العدد 07، ص10.

يعرفه بأنه: "مجموع التأثيرات السمعية والحركات النطقية للوحدات المسموعة والوحدات المنطوقة، كل منها بشرط الآخر"[14].

ومع أن تروبتسكوي ألحّ على الجوانب العضوية والسّمعية في وصف الفونيم، إلاّ أنّه لم يعتبرها أساسا تقوم عليه الدّراسة الوظيفية، ولذلك لا يمكن أن يكون لها إسهام في تحديد ماهية الفونيم.

ولكي يُبيّن **تروبتسكوي** خصائص الفونيم ووجوه تأديته وضع مجموعة من القواعد. [15]

---

[14] عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية، الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1996، ص64.

[15] يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح ، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، العدد07، ص13.